

مجموعة زدني العلمية
مجالس الهضاب سطيف

اللقاء المفتوح

مع طلاب العلم في جازان

أفضلة الشيخ الدكتور

محمد بن هادي المدفلي

عضوية التدريس في كلية الحديث بالجامعة الإسلامية بالدرعية النبوية



بسم الله الرحمن الرحيم

اللقاء المفتوح مع طلاب العلم في جازان^(١)

لصاحب الفضيلة المدرّس في الجامعة الإسلامية محمد بن هادي المدخلي حفظه الله ورعاه

الحمد لله ربّ العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وليّ الصالحين، وقيوم السموات والأرضين، شهادة أرجو بها النجاة يوم يقوم الناس لربّ العالمين، يوم يبعث ما في القبور، ويحصل ما في الصدور، إن ربنا سبحانه وتعالى بعباده لخبير بصير، وصلى الله وسلّم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فيا أيّها الإخوة الكرام، السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته، يسرّنا في هذه الليلة (مَعْشَرُ الْأَحِبَّةِ فِي اللَّهِ)، ليلة الثامن، من ذي الحجة، ليلة منى، يُصْبِحُ يوم غدٍ منى، من ذي الحجة، عام تسعة وثلاثين وأربعمائة وألفٍ من هجرة المصطفى -صلى الله عليه وسلّم- أن نلتقي في هذه المدينة (مدينة جازان)، عمّرها الله بالعلم والإيمان، وحرّسها وبلدان المسلمين من كل سوء.

يسرّنا أن نلتقي وتذكّر فيما يهمننا ويهمهم إخواننا المسلمين من أمر الدّعوة إلى الخير، والتّعاون على الخير، والدّعوة إلى الهدى، والتّعاون على البرّ والتقوى.

فأقول: مَعْشَرُ الْأَحِبَّةِ، إنّ هذا الدّين أنزله الله -تبارك وتعالى- وختم به، وجعله خاتم الأديان، وجعل رسوله -صلى الله عليه وسلّم- خاتم النبيين {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} ^(٢)، فختّم الله سبحانه وتعالى به النبوات كما قال -عليه الصّلاة والسّلام-: "وأنا خاتم

^١ _ كان ليلة الأحد، الثامن، من ذي الحجة، لعام ألف وأربعمائة وتسع وثلاثين من هجرة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه.

^٢ _ الأحزاب (٤٠).

النَّبِيِّينَ"، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، أَكْمَلَ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ؛ كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَاتَّمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} (٣)، أَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فِيمَا هُوَ أَعْظَمُ مَوْقِعٍ، وَأَعْظَمُ مَوْقِفٍ، وَأَعْظَمُ زَمَانٍ، وَأَشْرَفُ زَمَانٍ، فِي أَشْرَفِ مَكَانٍ؛ أَنْزَلَهَا عَلَيْهِ فِي يَوْمٍ سَيَكُونُ بَعْدَ غَدٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، إِنَّهُ يَوْمُ عَرَفَةَ، فِي مِثْلِ يَوْمٍ بَعْدَ غَدٍ، إِنَّهُ يَوْمُ عَرَفَةَ، فِي سَنَةِ حَجَّتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَاتَّمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} (٤)، فَقَدْ كَمَلَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا هَذَا الدِّينَ، وَأَظْهَرَهُ، وَأَعْلَاهُ، وَنَصَرَهُ، وَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْبَابِ بِالتَّبْلِغِ أَعْظَمَ قِيَامٍ، وَاسْتَشْهَدَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ عَلَى تَبْلِيغِهِ: "أَلَا هَلْ بَلَغْتُ؟! اللَّهُمَّ اشْهَدْ" وَكَانَ يَرْفَعُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْبَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ يَنْكُثُهَا إِلَى الْأَرْضِ وَيَقُولُ: "اللَّهُمَّ اشْهَدْ"، وَحِينَ خُطِبَتْهُ فِي جَمْعِ حَجَّتِهِ أَشَارَ رَأْسَهُ لِهَوَا الْعُلَا وَيَدُ، أَلَيْسَ يَشْهَدُ رَبُّ الْعَرْشِ جَلَّ وَعَلَا عَلَى تَبْلِيغِهِ ثُمَّ أَهْلُ الْجَمْعِ قَدْ شَهِدُوا؟! بَلَى وَاللَّهِ، فَقَدْ بَلَغَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ الْبَلَغَ الْمُبِينَ، وَكَمَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَهُ الدِّينَ، وَبِهِ الدِّينَ، وَمَا انْتَقَلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى إِلَّا وَقَدْ تَرَكْنَا عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارُهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ.

وَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ رَحْمَةً لِلنَّاسِ؛ كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} (٥).

وَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ نَوْرًا كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا} (٦) صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، فَهُوَ سِرَاجٌ مُنِيرٌ، أَنْارَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهِ لَنَا وَلِلْخَلْقِ قَاطِبَةً، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

٣ _ المائدة (٣).

٤ _ المائدة (٣).

٥ _ الأنبياء (١٠٧).

ولقد كان رَحْمَةً مُهْدَاةً كما قال _عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ_: "إنما أنا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ"، كما قال _جَلَّ وَعَلَا_: {بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} ^(٧)، {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} ^(٨) الآية، فهو رَحِيمٌ بنا _عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ_.

ولقد كان _عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ_ يُشَبِّهُ نَفْسَهُ فِي رَحْمَتِهِ بِأَمْتِهِ بِالنَّذِيرِ الْعُرْيَانِ، الذي وَقَفَ أَمَامَ قَوْمِهِ وَقَدْ تَعَرَّى، وهذه عادة العرب، النَّذِيرُ الْعُرْيَانِ الذي وَقَفَ أَمَامَ قَوْمِهِ وَقَدْ تَعَرَّى؛ دلالة على عِظَمِ الْخُطْبِ، لِيَصْدُقُوهُ، وليهتموا بالأمر الذي سيخبرهم به، فيستعدون له، فقال: "أنا النَّذِيرُ الْعُرْيَانِ"، وهذا مَثَلٌ عند العرب معروفٌ، وهو الذي ينذر بأمرٍ خطيرٍ عظيمٍ، ليس بكِذْبٍ، وليس بِشَكٍّ، بل هو يَقِينٌ.

وقد كان _عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ_ يُشَبِّهُ نَفْسَهُ فِي رَحْمَتِهِ بِأَمْتِهِ _عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ_ بِالرَّجُلِ الذي أَوْقَدَ نَارًا، فجعلت هذه الجنابُ والفَرَّاشُ مِنَ الطُّيُورِ التي تأتي والحشرات التي تأتي على الضَّوءِ يَقَعْنَ فِيهَا، وهو يَذْبُحْنَ عَنْهَا، قال: "وأنا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، هَلُمَّ عَنِ النَّارِ، هَلُمَّ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَقَحَّمُونَ فِيهَا".

وقوله: "وأنا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ": (الْحُجَزُ): مَعْقِدُ الْأُزْرِ، مَعَاقِدُ الْأُزْرِ مِنَ الرَّجُلِ، مَعَاقِدُ الْأُزْرِ مِنَ الرِّجَالِ، يعني: مَحَلَّ الْإِزَارِ عَنِ الْحَقُودَيْنِ، فهو يأخذ بِالْمُعَقَّدَيْنِ مِنَ الْيَمِينِ وَالشَّمَالِ، فإذا عَقَدَ أَخَذَ بِالْمُعَقَّدَيْنِ؛ دَلَّ ذَلِكَ عَلَى شِدَّةِ الْجَذْبِ وَالذَّفْعِ وَالْحَبْسِ عَنْ أَنْ تَتَقَحَّمَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ فِي الْهَلَاكِ، ومع ذلك

^٦ _الأحزاب (٤٥-٤٦)_.
^٧ _التوبة (١٢٨)، وفي الأحزاب [٤٣]: {وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا}_.
^٨ _التوبة (١٢٨-١٢٩)_.
٣

يقول: "وأنتم تَقَحَّمُونَ فيها"؛ يعني: تغلبونني، فهو رحمةٌ _صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ_ مُهْدَاةٌ، رَحِمَنَا اللَّهُ _تَبَارَكَ وَتَعَالَى_ به، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

وقد بَعَثَهُ اللَّهُ _جَلَّ وَعَلَا_ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ، فَدِينُهُ دِينُ سَمَحٍ، وَدِينُهُ دِينُ يُسْرٍ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} ^(٩) كما قال _جَلَّ وَعَلَا_، {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ} ^(١٠) كما قاله _سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى_، ويقول _عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ_: "بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ"، ويقول _عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ_: "إِنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ، إِنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ، إِنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ" ثلاثاً، ويقول _عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ_: "يُسِّرُوا وَلَا تَعْسِرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تَنْفُرُوا" صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، ويقول: "إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ، فَأَوْعِلُوا فِيهِ بِرَفْقٍ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ"، ويقول _عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ_: "اكْلَفُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا".

وقد كانت هذه الوصايا منه _عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ_ لِلْأُمَّةِ، وَخَاصَّةً الدُّعَاةَ، فحينما أُرْسِلَ إِلَى الْيَمَنِ رُسُلُهُ؛ قَالَ لَهُمْ _عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ_: "يُسِّرُوا وَلَا تَعْسِرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تَنْفُرُوا، وَاتَّقُوا وَلَا تَخْتَلِفُوا، وَاتَّفِقُوا وَلَا تَفْتَرِقُوا، وَتَطَاوَعُوا"، فَخَمْسُ وَصَايَا وَصَّى بِهَا _عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ_ مَنْ ذَهَبَ دَاعِيَةً إِلَى اللَّهِ _تَبَارَكَ وَتَعَالَى_، فَإِنَّ النَّاسَ كَابِلٍ مِائَةٍ لَسْتِ بَوَاجِدٍ فِيهِمْ رَاحِلَةً إِلَّا الْقَلِيلَ، وَالدَّاعِيَةُ إِلَى اللَّهِ سَيَعْرِضُ لَهُ فِي سَبِيلِ دَعْوَتِهِ (مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ)؛ سَتَعْرِضُ لَهُ الْعُقُبَاتُ، سَتَعْرِضُ لَهُ الْبَلَايَا، وَتَعْرِضُ لَهُ الْخُطُوبُ، تَعْرِضُ لَهُ الْمَخَالَفَاتُ، تَعْرِضُ لَهُ الْخُصُومَاتُ، يَعْتَرِضُ لَهُ الْخُصُومُ، يَعْتَرِضُ لَهُ الْمُضَادُّونَ الَّذِينَ يَأْتِي فِي دَعْوَتِهِ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْبَاطِلِ، أَوْ مَا وَصَلُوا إِلَيْهِ بِالْبَاطِلِ مِنَ الرُّكَاسَاتِ وَالْجَاهِ عَلَى أَقْوَامِهِمْ، فَيُرُونَ فِي اسْتِجَابَةِ النَّاسِ لَهُ هَدْمًا لِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِمَّا وَصَلُوا إِلَيْهِ، فَهَؤُلَاءِ يَقُومُونَ فِي وَجْهِهِ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ _صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ_ بِهَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي سَمِعْتُمُوهَا، وَاللَّهُ _جَلَّ وَعَلَا_ يَقُولُ لِرَسُولِهِ _صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ_: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ

^٩ _الحج (٧٨). _

^{١٠} _البقرة (١٨٥). _

رَبَّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِالْمُهْتَدِينَ^(١١) إِلَى أَنْ قَالَ: {وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ
اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ^(١٢)}.
فالدَّاعِيَةُ إِلَى اللَّهِ (مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ)، وَأَنْتُمْ دَعَا (وَلِلَّهِ الْحَمْدُ) فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ مَدِينَةِ جَاذَانَ، (وَلِلَّهِ
الْحَمْدُ) كُلُّكُمْ مُتَسَنِّمُونَ مِنْابِرِ الْجَوَامِعِ فِيهَا، خُطَبَاءُ (وَلِلَّهِ الْحَمْدُ)، وَهَذَا بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الدَّعْوَةِ عَظِيمٌ (بَابُ
الْخُطَابَةِ)، وَبَابٌ مِنْ أَبْوَابِ التَّعْلِيمِ عَظِيمٌ، وَأَنْثَمَةُ (وَلِلَّهِ الْحَمْدُ)، وَتَدْرُسُونَ عَلَى النَّاسِ، وَتَقْرَأُونَ عَلَيْهِمْ فِي
الْفُرُوضِ، تُعَلِّمُونَهُمْ، تُبَصِّرُونَهُمْ، تُرْشِدُونَهُمْ، تُفَقِّهُونَهُمْ.

أَيْضًا إِذَا جَاءَتِ الْمُنَاسِبَاتُ؛ تَقُومُونَ فِيهِمْ وَعَظَاءً، وَمُذَكِّرِينَ، وَمُخَوِّفِينَ بِاللَّهِ _جَلَّ وَعَلَا_،
وَمُبَشِّرِينَ، وَمُحَذِّرِينَ، وَمُنْذِرِينَ، فَهَذَا الَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ خَيْرٌ عَظِيمٌ؛ فَإِنَّ الْإِمَامَةَ تَعْلِيمٌ، وَالْخُطَابَةُ وَالْوَعْظُ
تَعْلِيمٌ، وَتَدْرِيسُكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لِلنَّاسِ فِي الْمَسَاجِدِ بِمُوجِبِ إِمَامَتِكُمْ الَّتِي وَكَلَتْ إِلَيْكُمْ، وَبِمَا يُوَكِّلُ إِلَيْكُمْ أَيْضًا مِنْ
الدُّرُوسِ وَالْمَحَاضِرَاتِ؛ هَذَا كُلُّهُ دَعْوَةٌ إِلَى الْخَيْرِ.

فَالْوَاجِبُ عَلَيْنَا جَمِيعًا (مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ) أَنْ نَنْطَلِقَ مِنْ مِثْلِ هَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَسِّرَا وَلَا تَعَسِّرَا".

وَلْيُعْلَمَ أَنَّ التَّيْسِيرَ عِنْدَنَا مَضْبُوطٌ بِالشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَهُوَ مَضْبُوطٌ بِقَوْلِهِ _عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ_
وَفِعْلِهِ، فَهُوَ مَضْبُوطٌ بِقَوْلِهِ: "إِنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ" يَقُولُ _عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ_، وَيَقُولُ: "إِنَّ هَذَا الدِّينَ
مَتِينٌ فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرَفِقٍ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ"، وَيَقُولُ: "اكْلَفُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ
لَا يَمُلُّ حَتَّى تَمْلُوا؛ هَذَا قَوْلُهُ _عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ_، وَتَصِفُهُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا _كَمَا فِي

^{١١} _النحل (١٢٥).
^{١٢} _النحل (١٢٧-١٢٨).

الصَّحِيحِينَ وَغَيْرِهِمَا: أَنَّهُ _عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ_ مَا خَيْرَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا فَإِنَّهُ يَكُونُ أْبَعَدَ النَّاسِ عَنْهُ، _صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ_.

فالتيسيرُ عندنا مضبوطٌ (مَعَاشِرَ أَهْلِ السُّنَّةِ)، جَعَلَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْهُمْ، مضبوطٌ بقوله _عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ_ وَفِعْلِهِ، فهو مضبوطٌ ومحدودٌ عندنا، وَمَوْضِعُ الْمَعَالِمِ، لَا أَنَّهُ لَا زِمَامَ لَهُ وَلَا خِطَامَ، كما يدعو إليه بعضُ مَنْ يدعو إليه، فصارت دعوتهُ ظاهرُها فيها الرَّحْمَةُ، ولكن باطنُها مِنْ قِبَلِهَا الْعَذَابُ، ظاهرُها التيسيرُ، وباطنُها وحقيقتُها الانفلاتُ مِنَ الْأَوَامِرِ الشَّرْعِيَّةِ!!! حاشا وكلا، فالتيسيرُ عندنا فيما يَسَّرَ اللَّهُ فِيهِ، وَرَخَّصَ فِيهِ، وَسَمَحَ فِيهِ رَبُّنَا _تَبَارَكَ وَتَعَالَى_، وَسَمَحَ فِيهِ رَسُولُهُ _صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ_.

أما أَنْ تُتْرَكَ الْوَاجِبَاتُ وَتُهْجَرَ السُّنَنُ بدعوى التيسيرِ!!! بل وربما يُوقَعُ فِي الْمَخَالَفَاتِ بدعوى التيسيرِ!!! فهذا كلامٌ منكِرٌ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَقْبَلَهُ أَهْلُ الْعِلْمِ وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْمَعْرِفَةِ بِالْأَثَرِ الْوَاردِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ _صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ_، فالتيسيرُ مضبوطٌ ومحدودٌ عندنا (وَلِلَّهِ الْحَمْدُ) بِالنَّصُوصِ الشَّرْعِيِّ وَبِالضَّوَابِطِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي ذَكَرْنَا شَيْئًا مِنْهَا.

وَأَمَّا أَخْذُ النَّفْسِ بِالْعُسْرِ وَالْمَشَقَّةِ؛ فَهَذَا اللَّهُ _سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى_ لَا يَرْضَاهُ، هَذَا هُوَ الْغُلُوُّ وَالتَّكْلِيفُ بما لَا يُطَاقُ، نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ، وَاللَّهُ _جَلَّ وَعَلَّا_ قَدْ أَجَابَ دَعَاءَ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ {رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ} ^(١٣)؛ قَالَ اللَّهُ: "قَدْ فَعَلْتُ"، وَالنَّبِيُّ _صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ_ يَقُولُ: "اكَفُّوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تَطِيقُونَ"؛ يَعْنِي: لَا تَكْلُفُوا أَنْفُسَكُمْ مَا لَا تَطِيقُونَهُ، وَكَانَ أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى النَّبِيِّ _صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ_ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ، وَيَقُولُ _عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ_: "أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ"؛ يَعْنِي: وَلَوْ كَانَ قَلِيلًا، لَكِنْ لَا مَشَقَّةَ فِيهِ، وَيَسْتَدِيمُ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ؛ هَذَا هُوَ.

^{١٣} _البقرة (٢٨٦).

فَنَحْنُ نَخَاطِبُ النَّاسَ بِمَا جَاءَتْ بِهِ النَّصُوصُ الشَّرْعِيَّةُ كِتَابًا وَسُنَّةً، فَالتَّيْسِيرُ مَضْبُوطٌ بِهَذِهِ الضَّوَابِطِ، وَمَعَالِمُهُ وَحُدُودُهُ شَهِيرَةٌ وَبَيِّنَةٌ، وَالتَّعْسِيرُ الَّذِي عَلَيْهِ أَهْلُ الْبَاطِلِ وَأَهْلُ الْغُلُوبِ؛ هَذَا نَحْنُ نَرَفُضُهُ، وَنَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ؛ يَعْنِي: السَّهْلَةَ الْيَسِيرَةَ؛ {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} (١٤).

وَقَوْلُهُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: "بَشِّرَا وَلَا تَنْفَرَا": النَّاسُ تَحِبُّ الْبَشَارَةَ؛ لَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - فِي حَقِّ رَسُولِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ}؛ أَرْسَلَ اللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - هَذَا النَّبِيَّ دَاعِيًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا: فَالْبَشَارَةُ قَبْلَ النَّذَارَةِ (البَشَارَةُ قَبْلَ النَّذَارَةِ)؛ لِأَنَّ النَّفُوسَ تَحِبُّهَا، فَمَنْ أَقْبَلَ عَلَى اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا -، وَعَلَى دِينِهِ بِطَوَاعِيَةٍ وَمَحَبَّةٍ سَامِعًا مَا بَشَّرَ اللَّهُ بِهِ أَوْلِيَاءَهُ؛ فَهَذَا عَلَى خَيْرٍ (١٥)، يُنْذَرُ يُنْذَرُ أَيْضًا مَعَ ذَلِكَ، فَمَعَ الْبَشَارَةِ النَّذَارَةُ؛ "إِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ" يَقُولُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، قَالَ - جَلَّ وَعَلَا - فِي الْآيَاتِ الَّتِي سَمِعْنَاهَا قَبْلَ قَلِيلٍ: {مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا}؛ فَالْبَشَارَةُ ثُمَّ النَّذَارَةُ، أَنْ يُنْذَرَ الْعَبْدُ النَّاسَ وَيُخَوِّفَهُمْ بِاللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - إِنْ هُمْ أَعْرَضُوا عَنْ أَمْرِهِ وَأَقْبَلُوا عَلَى نَهْيِهِ، يُحَذِّرُهُمْ مِنْ ذَلِكَ، وَيَحَذِّرُهُمْ مِنْ سُوءِ مَغَبَّتِهِ، فَلَا بَدَ مِنْ هَذَا وَهَذَا؛ حَتَّى يَعْتَدَلَ فِي دَعْوَتِهِ، تَبَشِيرٌ وَأَيْضًا تَحْذِيرٌ (نَذِيرٌ) كَمَا جَمَعَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: {وَإِنَّ رَبَّكَ لَدُوٌّ مَغْفِرَةٌ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ} (١٦)، فَجَمَعَ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ هَذَا.

فَالرَّحْمَةُ لِمَنْ يَسْتَحِقُّهَا وَيُقْبَلُ عَلَيْهَا طَائِعًا مَخْتَارًا رَاغِبًا فِيهَا، وَمَنْ لَا؛ تَأْتِي بِهِ الصُّورَةُ الثَّانِيَّةُ، يَأْتِي بِهِ أَيْضًا التَّرْهيبُ وَالتَّخْوِيفُ؛ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ تَارَةً يَأْتِي بِهِ هَذَا، وَتَارَةً يَأْتِي بِهِ هَذَا، فَلَا بَدَ مِنَ الْجَمْعِ بَيْنَ هَذَا وَهَذَا (مَعَشَرَ الْأَحِبَّةِ).

^{١٤} _ البقرة (١٨٥).

^{١٥} _ هنا في الأصل: " وَمَنْ لَا".

^{١٦} _ الرعد (٦).

وهكذا "يسرّ ولا تعسرّ، وبشّر ولا تنفّر": فالتنفير عن دين الله _جَلَّ وَعَلَا_ بكلّ ما يصدُّ النَّاسَ عنه مِنَ القَالِ والفِعَالِ؛ مِنَ الأقْوَالِ السيِّئَةِ والأفْعَالِ السيِّئَةِ، وهذا لا يأتي إلا بسبب قِلَّةِ العلم، وبسبب الجهل، وبسبب ضَعْفِ العقل، وضعف الحكمة؛ فإنَّه {مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا} ^(١٧)، وما يَذْكُرُ بمثل هذا الكلام إلا أصحاب العقول؛ كما قال _جَلَّ وَعَلَا_: {وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} ^(١٨).

فالبابُ هذا بابٌ عظيمٌ، وبابٌ في الوقت نفسه خطيرٌ؛ فإنَّ الإنسانَ إذا لم يُحسِّنْه أساءَ في دعوتِهِ إلى النَّاسِ، ونَفَرَ النَّاسُ عنه (مَعَشَرَ الْأَحْبَةِ)، فالنَّاسُ بحاجةٌ إلى التَّأْلِيفِ كما قال _جَلَّ وَعَلَا_: {هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ} ^(١٩)، فالتَّأْلِيفُ بين القلوب؛ هذا مطلوبٌ، واللهُ _سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى_ يُحِبُّهُ، ورسولُهُ _صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ_ جاءَ به.

فالدَّاعِيَةُ إلى الله، وأنتم من هؤلاء (وَلِلَّهِ الْحَمْدُ) قائمون بهذه الدَّعْوَةِ إلى الله _جَلَّ وَعَلَا_ في هذه المدينة وما جاورها مِنَ الْقُرَى والمدن، في هذا الوادي (وادي جازان)؛ الدَّاعِيَةُ إلى الله يحرصُ على جلبِ النَّاسِ إلى الخيرِ رحمةً بهم، وشفقةً عليهم، وحبًّا لإيصالِ الخيرِ إليهم؛ فإنَّ في ذلك الإحسانَ إليهم.

فالرَّحْمَةُ وإظهارُ الرَّحْمَةِ لِلنَّاسِ والعطفُ عليهم والمحبةُ بهم والحرصُ على إيصالِ الخيرِ بِشَتَّى الوسائلِ المتاحَةِ المباحَةِ الممكنَةِ إلى الغير؛ هذا يدلُّ علَامًا؟ يدلُّ على فقه الدَّاعِيَةِ إلى الله _جَلَّ وَعَلَا_، ويدلُّ على حكمته، ويدلُّ على صبرِهِ، فإنَّ النَّاسَ لن يستجيبوا لك مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ، ولا سيما إذا جاء في وقتٍ مِنَ الأوقاتِ ومعك خصومٌ وضدُّكَ خصومٌ، يَكْذِبُونَ عليك، وَيُشَوِّهُونَ سُمْعَتَكَ، وَيُشَوِّهُونَ لِلنَّاسِ سِيرَتَكَ وَيُنْفِرُونَهُمْ عَنْكَ كما يفعل أعداءُ الرُّسُلِ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ فيما سَبَقَ وقَصَّهُ اللهُ _تَبَارَكَ وَتَعَالَى_ علينا، بل

^{١٧} _البقرة (٢٦٩).

^{١٨} _البقرة (٢٦٩)، آل عمران (٧).

^{١٩} _الأنفال (٦٢-٦٣).

هذا النبي _صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ_ نَالَهُ مِنْ هَذَا الشَّيْءِ أَشَدَّ النَّيْلِ مِنْ قَرَابَتِهِ؛ مِنْ عَمِّهِ "أَبُو لَهَبٍ"، حِينَمَا كَانَ يَمْشِي خَلْفَهُ فِي الْمَوَاسِمِ وَيَقُولُ: "هَذَا ابْنُ أَخِي، إِنَّهُ كَذَّابٌ"، صَلَّوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

فَالشَّاهِدُ: الْإِنْسَانُ لَنْ يَجِدَ الطَّرِيقَ فِي هَذَا الْبَابِ مَفْرُوشًا لَهُ بِالْوُرُودِ، فَيَحْتَاجُ إِلَى الصَّبْرِ عَلَى النَّاسِ، وَإِظْهَارِ الشَّفَقَةِ لَهُمْ، وَالرَّحْمَةِ بِهِمْ، وَإِلَى إِيْصَالِ الْخَيْرِ إِلَيْهِمْ؛ حَتَّى يَقْبَلُوا عَلَيْهِ، وَيَلْتَفُوا عَلَيْهِ، وَيَأْخُذُوا عَنْهُ، وَيَقْبَلُوا مِنْهُ، فَهَذَا فِيهِ الْخَيْرُ الْعَظِيمُ، وَيَدُلُّ بِإِذْنِ اللهِ _تَبَارَكَ وَتَعَالَى_ عَلَى صَبْرِ الدَّاعِيَةِ وَحِكْمَةِ الدَّاعِيَةِ وَفِقِهِ الدَّاعِيَةِ، وَسَيُورِثُهُ ذَلِكَ كُلُّهُ نَجَاحَ دَعْوَتِهِ.

وَمِنْ أَوْضَحِ الْأَمْثَلَةِ الَّتِي نَذْكُرُهَا دَائِمًا وَأَبَدًا نَحْنُ وَإِيَّاكُمْ فِي هَذِهِ الْمَنْطِقَةِ الشَّيْخُ عَبْدُاللهِ الْقُرَعَاوِيُّ (رَحِمَهُ اللهُ)، جَاءَ رَجُلٌ وَاحِدٌ (رَجُلٌ وَاحِدٌ جَاءَ، فَرُدُّ، بِمَفْرَدِهِ)، وَبَدَأَ بِدُكَّانٍ، وَانْتَهَى بِدَعْوَةٍ، وَأَحْيَا اللهُ عَلَى يَدَيْهِ أُمَّةً، رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْهِ، وَمَا نَحْنُ وَمَنْ قَبْلَنَا مِنْ أَشْيَاخِنَا إِلَّا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَفِي حَسَنَاتِهِ، رَحِمَهُ اللهُ _تَبَارَكَ وَتَعَالَى_ عَلَيْهِ، صَبَرَ وَصَابَرَ وَاحْتَسَبَ، ضُرِبَ فِي هَذَا الْبَابِ (فِي بَابِ الدَّعْوَةِ وَمِيدَانِ الدَّعْوَةِ)، ضُرِبَ حَتَّى أُغْمِيَ عَلَيْهِ، وَلَمَّا أَفَاقَ وَقَدْ أَخَذَ خُصُومُهُ وَبَلَغَهُ أَنَّهُمْ سُجِنُوا؛ عَفَا عَنْهُمْ، قَالَ: أَنَا مَا شَكَوْتُهُمْ، فَكَانَ هَذَا هُوَ الْإِحْسَانُ إِلَيْهِمْ، فَاسْتَحْيَوْا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَأَثْمَرَ ذَلِكَ فِيهِمْ خَيْرًا، وَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ (رَحِمَهُ اللهُ) عَلَى طَرِيقِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، مَا كَانُوا يَنْتَصِرُونَ لِأَنْفُسِهِمْ، وَإِنَّمَا يَغْضَبُونَ لِدِينِ اللهِ _جَلَّ وَعَلَى_، فَانْظُرُوا أَنْتُمْ؛ كَيْفَ لَمَّا ضُرِبَ حَتَّى أُغْمِيَ عَلَيْهِ! ثُمَّ لَمَّا أَفَاقَ وَمِنْ الْيَوْمِ الثَّانِي عَلِمَ أَنَّ الَّذِينَ فَعَلُوا بِهِ هَذَا قَدْ سُجِنُوا؛ ذَهَبَ يَشْفَعُ فِيهِمْ وَعَفَا عَنْهُمْ، فَأَوْرَثَهُ ذَلِكَ الْمَحَبَّةَ عِنْدَ النَّاسِ، وَأَوْرَثَهُ ذَلِكَ الْحَيَاءَ عِنْدَ مَنْ عِنْدَهُ الْحَيَاءُ وَالْعَقْلَاءُ، وَهُمْ كَثِيرٌ (وَلِلَّهِ الْحَمْدُ)، فَمَنْ لَمْ يَقْبَلْ مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ؛ أَقْلُ شَيْءٍ فِيمَا بَعْدَ أَصْبَحَ مُحَايِدًا حَتَّى ظَهَرَ لَهُ الْحَقُّ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ، وَاهْتَدَى عَلَى يَدَيْهِ، فَأَعَقَبَهُ اللهُ _سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى_ الْعَاقِبَةُ الْحَمِيدَةُ.

فَالْوَاجِبُ عَلَيْنَا (مَعَشَرَ الْأَحِبَّةِ) أَلَّا نَنْتَصِرَ لَأَنْفُسِنَا، وَإِنَّمَا نَغْضِبُ لِدَيْنِ اللَّهِ _تَبَارَكَ وَتَعَالَى_، وَلَيَقِلَّ النَّاسُ فِيْنَا مَا قَالُوا، لَا يُهِمُّنَا ذَلِكَ، وَلَكِنْ نَحْنُ نُبَيِّنُ الْكَذِبَ، إِذَا كَذَبَ عَلَيْكَ تُبَيِّنُ الْكَذِبَ بِقَالَكَ وَفَعَالِكَ حَتَّى يَرَى النَّاسُ مِنْكَ مَا يُكَذِّبُ دَعَاوِي الْمَنَافِقِينَ لَكَ، يَرَوْنَهُ بِالْقَوْلِ، وَيَرَوْنَهُ بِالْفِعْلِ، فَيُكَذِّبُونَهُمْ بِأَقْوَالِكَ، وَيَشْهَدُونَ عَلَى صِدْقِكَ بِأَفْعَالِكَ.

فهكذا يجب علينا (مَعَشَرَ الْأَحِبَّةِ) أَنْ نَكُونَ، فَإِنَّ الدَّاعِيَةَ إِلَى اللَّهِ يَجِبُ عَلَيْهِ وَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَصْبِرَ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ _جَلَّ وَعَلَا_ لِرَسُولِهِ: {وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} (٢٠)، فَلَا بَدَّ مِنَ الصَّبْرِ وَالِاحْتِسَابِ.

ويقول _عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ_: "وائتلفا ولا تختلفا": الدَّعْوَةُ إِلَى الْأَلْفَةِ، وَإِلَى الْمَحَبَّةِ، وَإِلَى التَّرَابُطِ، وَإِلَى الْجَمْعِ؛ خَيْرٌ، وَهَذِهِ يَقُوتُ بِهَا عَلَى الْأَعْدَاءِ مُرَادُهُمْ، الَّذِينَ يَرِيدُونَ تَفْتِيتَ الْكَلِمَةِ، وَتَشْتِيتَ الْجَمْعِ، وَتَفْرِيقَ الصَّفِّ، وَاضْعَافَ الدَّعْوَةِ، هَذَا يَقُوتُ عَلَيْهِمْ بِإِذْنِ اللَّهِ _تَبَارَكَ وَتَعَالَى_، بِالتَّأَلُّفِ، وَإِظْهَارِ رُوحِ الْمَحَبَّةِ، وَإِظْهَارِ التَّعَاوُنِ، وَإِظْهَارِ الشَّفَقَةِ، فَالْكَبِيرُ يَعْطِفُ عَلَى الصَّغِيرِ، وَالصَّغِيرُ يَحْتَرِمُ الْكَبِيرَ، وَالْمُسَاوِي تَوْقَرُهُ وَيُوقِّرُكَ، وَهَذَا لَا شَكَّ أَنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُعَيِّنُنَا جَمِيعًا وَإِيَّاكُمْ فِي السَّيْرِ بِدَعْوَةِ اللَّهِ الْحَقَّةِ، وَإِظْهَارِهَا عَلَى الْخَلْقِ، وَبَيِّنِ الْخَلْقِ، وَنَشْرِهَا بَيْنَ الْخَلْقِ؛ لِأَنَّنا إِذَا اخْتَلَفْنَا نَحْنُ فِيمَا بَيْنَنَا؛ صِرْنَا مِثَالًا سَيِّئًا يُسْتَدَلُّ بِهِ لِأَهْلِ الْبَاطِلِ؛ يَقُولُ: "لَوْ كَانَ دَعْوَتُهُمْ فِيهَا خَيْرٌ؛ مَا اخْتَلَفُوا هُمْ، هُمْ مُخْتَلِفُونَ؛ خَلَلِيَهُمْ يُصَحِّحُونَ أَنْفُسَهُمْ هُمْ، يَتَأَلَّفُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ"!!! هَكَذَا يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ الْخَصُومُ، وَنَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ، نَسْأَلُ اللَّهَ أَلَّا يَبْتَلِيَنَا وَإِيَّاكُمْ.

٢٠ _ النحل (١٢٧-١٢٨).

فالتَّأَلَّفُ سببُ رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ _جَلَّ وَعَلَا_ بالعبادِ، يَنْشُرُ اللَّهُ _سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى_ بِهَا الْخَيْرَ بَيْنَ الْعِبَادِ فِي الْبِلَادِ كَمَا قَالَ _سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى_: {هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ} (٢١).

فالألفةُ سببٌ في المَضِيِّ بهذه الدَّعْوَةِ، سببٌ في قُوَّةِ الدَّعْوَةِ؛ لِأَنَّ أَبْنَاءَهَا وَأَهْلَهَا مَتَّحِدُونَ، مَتَكَاتِفُونَ، مُتَعَاوِنُونَ، مُتَنَاصِرُونَ، مُتَنَاصِحُونَ، مُتَحَابِّونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَإِذَا حَصَلَ ذَلِكَ انْتَشَرَ الْخَيْرُ، وَعَمَّ الْخَيْرُ، وَاقْتَدَى النَّاسُ بِنَا (مَعَشَرَ الْأَحِبَّةِ)، إِذَا رَأَى النَّاسُ فِي أَقْوَالِنَا وَأَفْعَالِنَا هَكَذَا؛ اقْتَدَوْا بِنَا، مَا رَأَوْا مِنَّا إِلَّا الْخَيْرَ، فَإِذَا كَانَ هَذَا ظَاهِرُنَا كَانَ سَبَبًا فِي إِقْبَالِ النَّاسِ عَلَيْنَا، وَعَلَى هَذِهِ الدَّعْوَةِ الَّتِي نَقُومُ بِهَا، فَاللَّهُ (مَعَشَرَ الْأَحِبَّةِ) فِي الْأَلْفَةِ وَالْحَرَصِ عَلَى أَسْبَابِهَا، وَاللَّهُ فِي الْمَحَبَّةِ وَنَشْرِ أَسْبَابِهَا فِيمَا بَيْنَنَا، اللَّهُ فِي الْأُخُوَّةِ وَنَشْرِ أَسْبَابِهَا فِيمَا بَيْنَنَا، إِذَا وَجِدَ سَبَبٌ وَاحِدٌ أَوْ حَادِثَةٌ وَاحِدَةٌ تُؤَدِّي إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْخُصُومَةِ أَوْ شَيْءٍ مِنَ الْخِلَافِ (الْخِلَافُ شَرٌّ)؛ فَإِنَّا يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَتَذَكَّرَ بَقِيَّةَ الْخِصَالِ الَّتِي هِيَ بَيْنَنَا مِنْ أَسْبَابِ الْخَيْرِ الَّتِي تَشْفَعُ وَتَدْعُو إِلَى الْأَلْفَةِ، وَتَدْعُو إِلَى الْإِعْذَارِ لِمَنْ أَخْطَأَ، وَبَذَلَ النَّصِيحَةَ لَهُ، وَالْحَرَصِ عَلَيْهِ، وَالشَّفَقَةَ عَلَيْهِ، وَالْإِعْذَارَ لَهُ، وَمَحَاوِلَةَ التَّسْدِيدِ حَتَّى يَنْبَيِّنَ لَهُ، فَهَذَا مُهِمٌّ جَدًّا (مَعَشَرَ الْأَحِبَّةِ)؛ فَإِنَّ الْأَلْفَةَ هِيَ أَعْظَمُ سَبَبٍ يَرْفَعُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهَا هَذِهِ الدَّعْوَةَ وَشَأْنَ هَذَا الدِّينِ، وَالْخِلَافُ شَرٌّ، وَالْفُرْقَةُ شَرٌّ، وَالتَّنَاحُرُ شَرٌّ، وَالتَّقَاطُعُ شَرٌّ، وَالتَّدَابُّرُ شَرٌّ، يَقْطَعُ اللَّهُ _سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى_ بِهِ مَا بَيْنَ الدَّعَاةِ مِنَ الْأَوَاصِرِ، فَتَضَعُفُ دَعْوَتُهُمْ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعَاذَنَا وَإِيَّاكُمْ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ، فِي هَذَا الْوَادِي، مِنْطَقَةُ جَاذَانَ، فِي الْمَنْطَقَةِ كُلِّهَا (وَلِلَّهِ الْحَمْدُ)، وَبِالْأَمْسِ كُنَّا (وَلِلَّهِ الْحَمْدُ) فِي صَامِطَةِ (قَطَاعِ صَامِطَةِ)، قَلْعَةِ الدَّعْوَةِ الْحَصِينَةِ فِي هَذَا الْعَصْرِ، وَمِنْبَعِ الدَّعْوَةِ، وَمِنْطَلِقِ الدَّعْوَةِ (مِنْطَلِقِ دَعْوَةِ التَّوْحِيدِ وَالسُّنَّةِ)، وَبِلَدِ الْعُلَمَاءِ، بِلَدِ الدُّعَاةِ، بِلَدِ تَجْدِيدِ هَذَا الدِّينِ

٢١ _الأنفال (٦٢).

في هذه الأيام المعاصرة والعصر الحديث، انطلقت من هذه المدينة، ورأيتم الجمع الذي يسرُّ خاطر البارحة من كبار طلبة العلم، وأنتم كنتم من ضمنهم (وَلِلَّهِ الْحَمْدُ)، والغالبُ عليهم ما بين الماجستير، وما بين الدكتوراه، وما بين من هو في مرحلة الوصول إلى الماجستير، ومن هو في مرحلة الوصول إلى الدكتوراه.

وليس العبرة بالشهادات، لكن نقول هذا؛ لأنه قد أصبح الآن العبرة عند الناس، والوزن عند كثير من الناس بهذا، فيتعجبون إذا قلنا: "إنَّ العبرة بالحقائق، لا بالشهادات"!!! هذا هو الحقُّ.

ولكن مع هذا؛ هذه الشهادات إذا لم تكن على الحقيقة فإنها لا تُغني عن أصحابها شيئاً (لا تُغني عن أصحابها شيئاً)، إذا كان عنده شيء من هذه الشهادات وهو ضعيف في علمه، ضعيف في عقله، ضعيف في حكمته؛ ما تنفعه هذه الشهادات.

وإذا كان قوياً في علمه، كثيراً في علمه، قوياً في حكمته، قوياً في عقله؛ فإنه ولو لم تكن عنده هذه الشهادات أو يكن عنده منها شيء؛ فالعبرة بالحقائق، لا بالأسماء (العبرة بالحقائق، لا بالأسماء).

ومع ذلك (وَلِلَّهِ الْحَمْدُ) في أهل السَّنة وفي السلفيين (وَلِلَّهِ الْحَمْدُ) الخير الكثير، وكما أنه يُقال في بعض أهل الباطل وأهل الشرور والفتن: "إنَّ عندهم شهادات"؛ فلماذا لا يُنظر أيضاً إلى الآخرين!!! وأنهم أيضاً عندهم شهادات؟!!! أم أنَّ الشهادات فقط تشفع لأولئك ولا تشفع لهؤلاء!!!

ومع هذا أقول (والله يعلم ما في نفسي): إنَّ العبرة عندي إنما هي بالحقائق، لا بالأسماء، فكم من شيوخنا الكم الكثير ممن ليس عندهم شهادات، ولا ابتدائية حتَّى، ولكنهم فحول العلماء في هذا العصر، فحول في العلم في هذا العصر، فالعبرة بالحقائق.

ولكن مع ذلك نحن لا ندُّم هذه الشهادات، وإنما ندُّمها إذا أصبحت كثوب الزور، ثوب الرياء، يشفُّ عما تحته، فإذا ارتدَّيت به فإنك عاري.

وهذا الكلام لا أقوله أنا، بل قاله أهل العلم جميعاً، هذا الشيخ ناصر، وهذا شيخنا الشيخ عبدالعزيز بن باز (رحمته الله)، وهذا الشيخ محمد بن عثيمين (رحمته الله)، وهذا الشيخ مقبل بن هادي الوادعي (رحمته الله)، وغيرهم وغيرهم من أهل العلم، هذه كلماتهم: إما مزبورة مسطورة في الكتب، وإما مسموعة في الأشرطة، على أن العبرة بالحقائق، لا بهذه الشهادات، لكن ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعوا وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل.

فنحن لسنا حرباً على هذه الشهادات، لا والله، لكن إذا أريد بها ترفيع من لم ترفعه الحقيقة؛ فإننا والله لا نقيم لها وزناً، وإذا أريد بها وضع من رفعت الحقيقة بأنه "ما عنده شهادة"؛ والله لا وزن لها عندنا، ولا قيمة لها عندنا.

فهذا هو الواجب علينا (مَعَشَرَ الْأَحِبَّةِ)؛ أن نتعامل هذا التعامل مع هذه الألقاب (مَعَشَرَ الْأَحِبَّةِ)؛ فإن العبرة بالحقائق، لا بالمسميات، ونسأل الله التوفيق للجميع.

أيها الإخوة، أَخْتِمُ بقول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "وتطاولوا" في آخر الحديث لِمَنْ أَرْسَلَهُمْ إِلَى الْيَمَنِ، فقوله: "وتطاولوا"؛ يعني: لَنْ يَبِيدَ أَخِيكَ، إذا رأى رأياً وأنت خالفته (وليس فيه ضرر في دين الله -جَلَّ وَعَلَى- وإنما هو أمر اجتهاذ)؛ أَطِعْهُ، فَإِنَّهُ إِذَا أَصَابَ وَظَهَرَ فِي قَوْلِهِ الْخَيْرُ؛ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ كُفَيْتُمْ، وَإِنْ ظَهَرَ الْخَطَأُ فَإِنَّهُ سَيَسْتَحْيِي مَرَّةً أُخْرَى مِنْكَ أَنْ يُخَالَفَكَ، وَأَنْ يَشُقَّ كَلِمَتُكَ، فَإِنَّهُ إِذَا قَالَ لَكَ الْمَرَّةَ الثَّانِيَةَ؛ تَذَكَّرَ قَوْلُهُ لَكَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى، فَإِذَا خَالَفْتَهُ فَإِنَّهُ سَيَسْتَحْيِي وَسَيُحْجِمُ، وَلَنْ يَخَالَفَكَ، فَتَحْصُلُ الْمَطَاوَعَةُ الَّتِي يَحْصُلُ بِسَبَبِهَا الْخَيْرُ الْعَظِيمُ (الذي يحصل بسببها الخير العظيم)؛ وهو تيسير أمور هذه الدَّعْوَةِ، وعدم وجود الخلاف بين أصحابها وحَمَلَتِهَا وَأَرْبَابِهَا، فتبقى الألفة، وتبقى المحبة، ويبقى الائتلاف محلَّ الاختلاف الذي يريده لك أعداؤك، ويبقى الألفة بدلَ الكُره والكراهية والبغض.

فأنا أوصيكم (مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ) أَنْ نَتَأَلَّفَ فِيمَا بَيْنَنَا ؛ فَإِنَّ التَّأَلَّفَ جَالِبٌ لِلتَّآخِي ، وَجَالِبٌ لِلْمَحَبَّةِ ، وَجَالِبٌ لِلتَّعَاوُنِ وَالتَّطَاوُعِ فِيمَا بَيْنَنَا ، وَالْإِعْزَازِ فِيمَا بَيْنَنَا ، وَهَكَذَا ، بِهَذَا تَقُومُ الدَّعْوَةُ ، تَقُومُ شُؤْنُ الدَّعْوَةِ وَتَنْتَشِرُ ، وَيَعُمُّ الْخَيْرُ بَيْنَ النَّاسِ .

وَلَنْكُنْ رَحِمَاءَ (مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ) ، لِنَكُنْ رَحِمَاءَ (مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ) ، رَحِمَاءَ بِالنَّاسِ ، صِفَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ} ^(٢٢) ؛ يَشْقُ عَلَيْهِ _ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ _ {حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} ^(٢٣) ، فَالْحَرِصُ مِنْ صِفَاتِ الدَّاعِيَةِ .

ولكن إذا كان قد علم الله في العبد أنه لا يهتدي {فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} ^(٢٤) كما قال الله _ جَلَّ وَعَلَا _ ، نعم ، {إِنْ تَحَرَّصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ} ^(٢٥) .

إذا كُنْتَ حَرِيصًا عَلَى هِدَايَةِ النَّاسِ وَبَدَلْتَ الْوُسْعَ ؛ يَكْفِي ، أَمَا أَنْ تُهْلِكَ نَفْسَكَ ؛ هَذَا أَنْتَ مِنْهُيٌّ عَنْهُ {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا} ^(٢٦) ، {لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} ^(٢٧) ، {فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} ^(٢٨) ، {وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمِّيِّ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ} ^(٢٩) ، {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ} ^(٣٠) كما قال _ جَلَّ

^{٢٢} _ التوبة (١٢٨) .

^{٢٣} _ التوبة (١٢٨) .

^{٢٤} _ فاطر (٨) .

^{٢٥} _ النحل (٣٧) .

^{٢٦} _ الكهف (٦) .

^{٢٧} _ الشعراء (٣) .

^{٢٨} _ فاطر (٨) .

^{٢٩} _ النمل (٨١) .

^{٣٠} _ القصص (٥٦) .

وَعَلَّا {وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} _سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى_ {وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} ، {وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ} (٣١).

فَالأَمْرُ بِيَدِ اللَّهِ _جَلَّ وَعَلَّا_ ، ولكن أنت عليك أَنْ تكونَ حريصًا ، وتبذلَ ما تستطيعُ ، وتُضَحِّيَ في سبيلِ ذلكَ ، وتُصَبِّرَ ، وتُبَيِّنَ بكل ما تستطيعُ مِنْ أَوْجِهَةِ البَيَانِ ، فإذا لم ينفعْ ، ولم يتبعْ هؤلاءُ ، ولم يُقْبَلْ هؤلاءُ ؛ فالأَمْرُ والبلاءُ فيهم هم ، ما هو فيك أنتَ ، ولكن أنتَ عليك أَنْ تَأْتِيَ بما أُمِرْتَ كما قالَ _جَلَّ وَعَلَّا_ : {فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ} (٣٢) ، فأنتَ مأمورٌ بأنْ تقومَ بأمرِ اللَّهِ _جَلَّ وَعَلَّا_ ، والهدايةُ بيدَ اللَّهِ {فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ} (٣٣) ، هذا هو الواجبُ علينا جميعًا.

والحاصلُ : أَنَّ الألفَةَ والتعاونَ (مَعَشَرَ الْأَحِبَّةِ) يُفَوِّتُ الفرصةَ على الذين يتربصونَ بنا ، ويتربصونَ بهذه الدعوة ، وأيضًا في الوقتِ نفسه يُكَذِّبُ أَلْسُنَ المتكلمينَ بالباطل ، والخرّاصينَ بالباطل ، والأفّاكينَ بالباطل ، الذين يرمونَ السلفيينَ أهلَ السُّنَّةِ الصّادِقِينَ ، يَرْمُونَهُمْ بما هم منه برّاءٌ ، واللهُ يعلمُ أَنَّهُمْ مِنْ ذَلِكَ برّاءٌ.

ثم النَّاسُ الذين يعيشونَ معهم يَشْهَدُونَ لَهُمْ بِأَنَّهُمْ مِنْ ذَلِكَ برّاءٌ ، وكفى بالله _سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى_ شهيدًا ، النَّاسُ يَعْلَمُونَ منهم ذلكَ بما يرونه مِنْ أفعالِهِمْ ويسمعونه مِنْ أقوالِهِمْ ، وَيَشْهَدُونَ لَهُمْ بِذلكَ ، وكفى بالله عليمًا ، والنَّاسُ شهداءُ اللَّهِ في أرضِهِ ، وكفى بالله وكيلًا _سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى_.

فيا إخوتي الكرامُ ، الواجبُ علينا جميعًا أَنْ نصبرَ ونحتسبَ ، ولا ننظرَ إلى أقوالِ هؤلاءِ المتكلمين الذين يتكلمونَ فينا ، فاللهُ _جَلَّ وَعَلَّا_ فيهم سيكفيُنَا ، وسيبيِّنُ للنَّاسِ صِدْقَنَا إِنْ نَحْنُ تعاملُنَا مع اللَّهِ _تَبَارَكَ وَتَعَالَى_.

^{٣١} _النمل (٨١)_.

^{٣٢} _الشورى (١٥)_ ، وفي هود [١١٢] : {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ}.

^{٣٣} _الغاشية (٢١-٢٢)_.

وَالَا بِالْأَمْسِ (أَوْ قَبْلَ الْأَمْسِ) أَسْمَعُ بَعْضَ الْإِخْوَانِ يَذْكُرُ لِي عَنْ بَعْضِهِمْ يَقُولُ (يَقُولُ): مَنْ يُوقُ أَوْ مَنْ يُكْفَ شَرَّ فِتْنَةِ مُحَمَّدٍ بْنِ هَادِي؛ فليحمدِ الله!!!

ما هو الشرُّ الذي جِئْتُ به؟!!! وما هي الفتنة التي جِئْتُ بها؟!!! داعيةُ بإذنِ الله إلى الله _جَلَّ وَعَلَا_، وأدعوُ إلى الحقِّ، وإلى طريقِ مستقيمٍ.

وَأَمَّا كَوْنِي حَدَّثْتُ مِنْ رَجُلٍ أَوْ رَجُلَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ، مَا رَأَيْتُ إِلَّا الشَّرَّ يَتَرْتَّبُ عَلَى كَلَامِهِمْ؛ هَذَا مَا قَالَ أَحَدٌ مِنْ قَدِيمِ الدَّهْرِ: "إِنَّ صَاحِبَ هَذَا كَانَ صَاحِبَ فِتْنَةٍ"!!! وَلَا عَلِمْنَا يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ أَنَّ الْأَوَّلِينَ كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَجْرَحَ؛ يَسْتَشِيرُ!!!

هَذَا دِينُ، دِينُ اللَّهِ _جَلَّ وَعَلَا_، يَقُولُهُ نُصْحًا لِعِبَادِهِ، وَيَقُولُهُ نَصْحًا لِلخَلْقِ، وَمَحَبَّةً لِلخَلْقِ، وَشَفَقَةً عَلَى الخَلْقِ، وَزِيَادًا عَنِ الْحَقِّ، وَحِمَايَةً لِلْحَقِّ أَنْ يَتَسَنَّمَ غَارِبُهُ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ، أَوْ مَنْ يُلْبَسُ عَلَى النَّاسِ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِهِ، أَوْ مَنْ ضَرَّرَهُ أَكْثَرُ مِنْ نَفْعِهِ، هَذِهِ كُلُّهَا مَقَاصِدُ شَرْعِيَّةٍ.

فَإِنَّا مَا عَلِمْتُ إِنْسَانًا طَعَنَ فِي شَخْصٍ أَوْ شَخْصَيْنِ أَصْبَحَ مُحَادًّا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ!!! وَلَا عَلِمْتُ إِنْسَانًا جَرَحَ شَخْصًا أَوْ شَخْصَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً أَصْبَحَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ!!! وَلَا عَلِمْتُ إِنْسَانًا يُقَالُ عَنْ شَخْصٍ وَافَقَهُ فِي الْجَرَحِ؛ يَقَالُ: إِنَّهُ مَوَالٍ لِعَدُوِّ اللَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِمُحَادِّ اللَّهِ وَلِرَسُولِهِ!!!

هَذَا وَاللَّهِ الْعَجَبُ، هَذَا وَاللَّهِ الْعَجَبُ الَّذِي نَسْمَعُهُ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ.

لَكِنْ (مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ) لِيَقُولُوا مَا قَالُوا، وَلِيَقُولُوا مَا شَاءُوا، وَلِيَقُولُوا مَا يَشَاءُونَ، وَلِيَقُولُوا مَا يَقُولُونَ، الْوَاجِبُ عَلَيْنَا (مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ) أَنْ نَعَامِلَ اللَّهَ _جَلَّ وَعَلَا_؛ فَإِنَّ مَنْ عَامَلَ اللَّهَ بِالصِّدْقِ وَلَوْ فِي الْخِفَاءِ؛ أَظْهَرَ اللَّهُ ذَلِكَ عَلَيْهِ، وَكَتَبَ لَهُ الْقَبُولَ، وَأَظْهَرَ بَيْنَ النَّاسِ وَلَوْ لَمْ يُحِبَّهُ فِي الْجَلَاءِ، فَمَنْ عَامَلَ اللَّهَ فِي الْخِفَاءِ أَظْهَرَ اللَّهُ _سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى_ لَهُ فِي الْجَلَاءِ.

فعلينا بالصدق مع الله (مَعَشَرَ الْأَحِبَّةِ)، وألا نَلْتَفِتَ إلى قولِ القائلين، وَلَيْكُنِ المقصودُ بأقوالنا وأفعالنا وإيّاكم جميعاً هو إرضاء الله _جَلَّ وَعَلَا_، واتّباعُ هذا النبي _صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ_، ونَشْرُ هذه الدَّعوة، ونَشْرُ الحقَّ، والحرصُ على هدايةِ الخلقِ، ورحمةُ الخلقِ.

هذا الذي يَنْفَعُنَا في الدنيا؛ بأنْ تَقَرَّ أَعْيُنُنَا ونرى الخيرَ، وَيَنْفَعُنَا بِالآخِرَةِ؛ بأنْ نَنْقَلِبَ إلى رَبَّنَا ونرى الأجرَ عند الله _تَبَارَكَ وَتَعَالَى_.

وَأَسْأَلُ اللهَ _سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى_ أَنْ يجعلَني وإيّاكم دعاةَ أَلْفَةٍ، لا دعاةَ فُرْقَةٍ، كما أَسْأَلُهُ _سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى_ أَنْ يجعلَني وإيّاكم دعاةَ أُلُوهٍ، لا دعاةَ بَغْضَاءٍ، وأَسْأَلُهُ _سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى_ أَنْ يجعلَني وإيّاكم دعاةَ عِلْمٍ وَهُدًى، لا دعاةَ جَهْلِ وَرَدًى، كما أَسْأَلُهُ _سُبْحَانَهُ أَنْ يجعلَنا جميعاً دعاةَ سُنَّةٍ وَأَلْفَةٍ، لا دعاةَ بدعةٍ وفُرْقَةٍ، كما أَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يُفَرِّغَ علينا صَبْرًا، وَأَنْ يَثْبِتَنَا وإيّاكم على الحقِّ والهدى، وَأَنْ يَنْصُرَنَا وإيّاكم بِنَصْرِهِ، وَأَنْ يجعلَنا مِنْ أَنْصارِ دينِهِ الذين يَنْصُرُهُمُ اللهُ _جَلَّ وَعَلَا_ كما قال _سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى_: {إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} (٣٤)، نَسْأَلُ اللهَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَنْصُرَنَا وإيّاكم وَجَمِيعَ مَنْ دَعَا إِلَى دينِ الله ودَعْوَتِهِ الْحَقَّةِ صَادِقًا، كما أَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يُوَفِّقَنَا وإيّاكم لِمَرْضِيهِ، وَأَنْ يُعِينَنَا وإيّاكم على طَاعَتِهِ في هذه الْأَيَّامِ (أَيَّامِ الْعَشْرِ)، وَأَنْ يجعلَنا وإيّاكم مِنَ الْمَقْبُولِينَ، كما أَسْأَلُهُ _جَلَّ وَعَلَا_ أَنْ يَرْزُقَنَا جَمِيعًا الْفَقَةَ في دينِهِ والبصيرةَ فِيهِ، وَأَنْ يُصْلِحَ أحوالَنَا وأحوالَكُمْ جَمِيعًا، وَأَنْ يَصْلِحَ أحوالَ الْمُسْلِمِينَ حُكَّامًا وَمُحْكومِينَ، وَأَنْ يُوَفِّقَ حُكُومَتَنَا الرَّشِيدَةَ في هذه البلادِ الْمَمْلُوكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ (بلادِ الْحَرَمَيْنِ) أَنْ يُعِينَهُمْ، أَسْأَلُ اللهَ _جَلَّ وَعَلَا_ في هذه اللَّيْلَةِ الْمُبَارَكَةِ أَنْ يُعِينَهُمْ، وَأَنْ يُوَفِّقَهُمْ، وَأَنْ يُسَدِّدَهُمْ على ما يَقُومُونَ بِهِ مِنْ خِدْمَةِ الْحَجَّاجِ وَتَيْسِيرِ أُمُورِ حُجَّاجِ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ وَزُورِارِ مَسْجِدِ نَبِيِّهِ _صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ_، أَسْأَلُ اللهَ _سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى_ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ عَوْنًا وَظَهِيرًا _سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى_، وَأَنْ يُعِينَهُمْ على ما حُمِّلُوا مِنْ هذه

٣٤ _ محمد (٧).

الأمانة، كما أسأله _سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى_ أَنْ يُوَفِّقَهُمْ وَيُسَدِّدَهُمْ وَيَصْرِفَ عَنْهُمْ كُلَّ شَرٍّ، وَأَنْ يجعلَهُمْ هداةً مهتدين، وأسأله اللهَ _جَلَّ وَعَلَا_ بأسمائه الحسنى وصفاته العُلا أَنْ يَنْصُرَ إِمَامَ المسلمين خادِمَ الحرمين الشريفين وَوَلِيَّ عَهْدِهِ، وَأَنْ يُعِينَهُمْ عَلَى الْخَيْرِ، وَأَنْ يَصْرِفَ عَنْهُمْ بَطَانَةَ السُّوءِ، وَأَنْ يجعلَهُمْ هداةً مهتدين، كما أسأله _سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى_ أَنْ يُوَفِّقَ جَمِيعَ وُلَاةِ أُمُورِ المسلمين فِي كُلِّ مَكَانٍ لِلْعَمَلِ بِكِتَابِهِ وَتَحْكِيمِ شَرْعِهِ وَاتِّبَاعِ سُنَّةِ رَسُولِهِ _صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ_، كما أسأله _سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى_ أَنْ يُؤَلِّفَ بَيْنَ قُلُوبِ المسلمين، وَأَنْ يَجْمَعَ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْحَقِّ وَالْهُدَى، وَأَنْ يُؤَلِّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَأَنْ يَجَنِّبَنَا وَإِيَّاهُمْ وَإِيَّاكُمْ جَمِيعًا أَسْبَابَ الرَّدَى، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ بِإِحْسَانٍ.

[السؤالات]

[١] هذا يسأل عن حديث: "أُمِرْنَا أَنْ نُنْزِلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ؟"

هذا الحديث المراد منه ألا ترفع المتضع إلى منزلة ليست له، ولا تنزل بالرفيع عن منزلته التي هي له، وإنما تنزل كل واحد مكانه، فمثلاً إذا جاء العالم؛ تجعله في طرف المجلس؟!!! أبداً، بل تقوم له، وتوقره، وتجله، وتبجله، وتنزله المكان الذي يليق به، وهكذا، نعم.

[٢] وهذا سؤال آخر، يسأل: هلّا من توجيه لعموم المسلمين ممن لم يتيسر له الحج لاستغلال يوم

عرفة؟

استغلال يوم عرفة والأيام هذه الباقية، غداً يوم التروية (اليوم الثامن)، وهو من أيام العشر المباركة التي ينبغي لنا جميعاً أن نعمرها جميعاً بالذكر، والطاعة، والتهلل، والتحميد، والتكبير، والاستغفار، والتقرب إلى الله -جلّ وعلا- بالصدقات وبأنواع البر؛ بصلة الأرحام، صلة الأقارب، والقيام والسعي في مصالح الناس وإيصال الخير بجميع أنواعه إلى الغير (إيصال الخير بجميع أنواعه إلى الغير)، والاشتغال بشئ أنواع القرب من صيام، وصلاة، ودعاء، واستغفار، وذكر، تسبيح، تحميد، تهليل، قراءة قرآن، وهكذا، نعم، نسأل الله -سبحانه وتعالى- التوفيق.

وأما يوم عرفة فإننا أيضاً نحرس على صومه؛ فإن الله -جلّ وعلا- يكفر به سنة قبله وسنة بعده، كما قال ذلك النبي -صلى الله عليه وسلم-.

[٣] هذا يسأل عن حكم الحناء للرجال؟

الحناء للرجال؛ ما يجوز، يعني: يُحَنِّي يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ أَوْ رِجْلَيْهِ، هذا من خصائص النساء؛ لأنه من الزينة، نعم، بل هذا من التخنث، النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يسلم على عمار رضي الله عنه -

لَمَّا^(٣٥) قَدِمَ عَلَى أَهْلِهِ وَقَدْ تَشَقَّقَتْ يَدَاهُ _ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ _ ، فَخَلَقُوهُ بِخُلُقٍ فِيهِ زَعْفَرَانٌ وَشَيْءٌ مِنْ صُفْرَةٍ ، فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ _ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ _ فَلَمْ يُسَلِّمْ عَلَيْهِ _ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ _ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : اذْهَبْ وَاغْسِلْ هَذَا عَنْكَ .

فَالشَّاهِدُ : أَنَّ هَذَا لَا يَنْبَغِي لِلرِّجَالِ ، وَإِنَّمَا الْوَاجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَنْطَيَّبُوا ، وَأَنْ يَتَبَخَّرُوا ، وَأَنْ يَتَعَطَّرُوا بِمَا فِيهِ مِنَ الرِّوَائِحِ الطَّيِّبَةِ الْجَمِيلَةِ ، وَلَا أَثَرَ لَهُ ، فَإِنَّ الْحَنَاءَ لِلنِّسَاءِ ، وَلَيْسَ لِلرِّجَالِ .

أَمَّا أَنْ يَكُونَ دَوَاءً لِقُرُوحٍ فِي الرَّجُلِ أَوْ جُرُوحٍ ؛ فَلَا بَأْسَ بِذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَقَدْ ذَكَرَ هَذَا ابْنُ الْقَيْمِ (رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى) فِي زَادِ الْمَعَادِ (فِي الطَّبِّ) ، تَجِدُونَهُ بِإِذْنِ اللَّهِ .

[٤] يقول : أنا وأخي نعيشُ في بيتٍ واحدٍ ، وأَكُلْنَا سَوِيًّا ، وَلَكِنْ هَذِهِ الْفِتْرَةُ زَوْجَتِي عِنْدَ أَهْلِهَا ، فَهَلْ تَكْفِينَا أَضْحِيَّةً وَاحِدَةً؟

إِذَا كَانَ صَحْنُكُمْ وَاحِدًا ، وَبَيْتُكُمْ وَاحِدًا ، وَأَكَلُكُمْ وَاحِدًا ، وَمَصْرُوفُكُمْ وَاحِدًا ؛ يَكْفِيكُمْ ، أَمَّا إِذَا كَانَ هَذِهِ أَسْرَةٌ ، وَهَذِهِ أَسْرَةٌ ؛ فَلَوْ اجْتَمَعْتُمْ فِي بَعْضِ الْوَجَبَاتِ ؛ هَذَا لَا يَكْفِي .

[٥] إِذَا اشْتَرَى إِنْسَانٌ أَضْحِيَّةً وَعَيَّنَهَا ثُمَّ تَوَفَّيَتْ؟

مَا عَلَيْهِمْ ، أَجْزَأَتْهُمْ (وَلِلَّهِ الْحَمْدُ) ، وَوَقَعَ الْأَجْرُ عِنْدَ اللَّهِ _ جَلَّ وَعَلَا _ ، وَإِنْ كَانَ عِنْدَهُمْ سَعَةٌ وَأَرَادُوا أَنْ يَشْتَرُوا أُخْرَى فَحَسَنٌ ، وَإِلَّا فَلَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ (وَالْحَمْدُ لِلَّهِ) ، وَهِيَ سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ .

[٦] وَهَذَا سَوَالٌ ، يَسْأَلُ الْإِنْسَانَ عَنِ الْخِصَالِ وَالصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ وَالْخِلَالِ الْكَرِيمَةِ الَّتِي يَتَحَلَّى بِهَا

طَالِبُ الْعِلْمِ فِي مَجْتَمَعِهِ وَبَيْنَ الْعَوَامِّ؟

^{٣٥} _ هَذَا فِي الْأَصْلِ : "قَدِمَ عَلَيْهِ وَقَدْ تَشَقَّقَتْ يَدَاهُ" .

مَنْ أَعْظَمَ مَا يَتَحَلَّى بِهِ الصَّدْقُ أَوَّلًا مَعَ اللَّهِ _جَلَّ وَعَلَا_ ، وَالْإِخْلَاصُ لِلَّهِ _جَلَّ وَعَلَا_ ، فَلَا يَر_اقِبُ إِلَّا اللَّهَ _تَبَارَكَ وَتَعَالَى_.

ثانِيا: العلم، يَتَصِفُ بِالْعِلْمِ؛ فَإِنَّ الْعِلْمَ أَعْظَمُ مُرْشِدٍ فِي ظُلْمَةِ الْجَهْلِ الْبَهِيمَةِ، وَالْعَقْلُ يَنْلُوهُ، وَلَوْلَاهُ لَكُنَّا كَالْبَهِيمَةِ، فَالْعَقْلُ بَعْدَ الْعِلْمِ؛ فَإِنَّهُ مَنْ رَزَقَ عِلْمًا وَأُوتِيَ حِلْمًا فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا، فَإِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ وَالْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، فَمَا تَصَبَّرَ إِنْسَانٌ إِلَّا وَصَبَّرَهُ اللَّهُ _جَلَّ وَعَلَا_.

وَالْحِلْمُ أَنْ يَصْبِرَ الْإِنْسَانُ فِي مَوَاطِنِ التَّهَوُّرِ، فِي مَوَاطِنِ الْغَضَبِ، حَلِيمٌ إِذَا مَا سُورَةُ الْجَهْلِ أَطْلَقَتْ حُبَى الشَّيْبِ، لِلنَّفْسِ اللَّجُوجِ غُلُوبٌ، "إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ"؛ مَا هُمَا؟ "الْحِلْمُ وَالْأَنَاءَةُ"، الْحِلْمُ مَحْبُوبٌ، وَالْأَنَاءَةُ مَحْبُوبَةٌ؛ فَإِنَّ الْأَنَاءَةَ مِنَ اللَّهِ، وَالْعَجَلَةَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَالْأَنَاءَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ مَحْبُوبَةٌ إِلَّا فِي أَمْرِ الْآخِرَةِ؛ فَإِنَّ الْمَحْبُوبَ فِيهِ الْمَسَارَعَةُ وَالْمُبَادَرَةُ.

فَالَّذِي أَوْصَى بِهِ الْإِتِّصَافُ بِالْعِلْمِ وَالْحِلْمِ، كَمَا أَوْصَى بِالْإِتِّصَافِ بِالرَّحْمَةِ وَالشَّفَقَةِ عَلَى النَّاسِ؛ فَإِنَّهَا صِفَاتُ النَّبِيِّ _صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ_ الَّتِي مَدَحَهُ اللَّهُ _تَبَارَكَ وَتَعَالَى_ بِهَا، وَمِنْ آثَارِ الرَّحْمَةِ وَالشَّفَقَةِ مَحَبَّةُ إِصَالِ الْخَيْرِ إِلَى الْغَيْرِ، إِصَالِ مَا يَنْفَعُ إِلَى النَّاسِ، فَيَنْتَفِعُوا عَلَى يَدَيْكَ.

كَمَا أَوْصِيكَ أَيْضًا بِأَنْ تَلْزِمَ التَّوَاضُّعَ، وَأَنْ تَلْزِمَ السَّكِينَةَ أَمَامَ النَّاسِ، وَمَعَ النَّاسِ؛ فَإِنَّ السَّكِينَةَ تَزِينُكَ، وَالطَّيِّشَ يَشِينُكَ، فَإِذَا كُنْتَ مُتَزِنًا احْتَرَمَكَ النَّاسُ وَقَدَّرُوكَ، سَكِينَةً وَلِزُومَ أَدَبٍ، لَا كِبَرًا وَلَا مَسْكَنَةً وَتَهَاوُنًا، إِنَّمَا السَّكِينَةُ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ يَتَّصِفَ بِهَا طَالِبُ الْعِلْمِ مِنْ غَيْرِ مَا إِهَانَةٍ لِلنَّفْسِ وَلَا كِبَرٍ عَلَى الْخَلْقِ، نَسْأَلُ اللَّهَ _تَبَارَكَ وَتَعَالَى_ أَنْ يُوَفِّقَنَا وَإِيَّاكُمْ جَمِيعًا، نَعَمْ.

[٧] وهذا يسأل عن التكبير؟ التكبير المقيّد عقِبَ الصَّلَاةِ؛ إِذَا صَلَّى كَبَّرَ اللَّهُ _جَلَّ وَعَلَا_، وَبَعْدَ

ذَلِكَ يَأْتِي بِالْأَذْكَارِ.

[٨] هذا يقول: بعض المأمومين إذا جاء يُصَلِّي في المسجد وَوَجَدَ الصَّفَّ الأوَّلَ قد امتلأ، قام

بتحريك المأمومين عن يمين الصَّفِّ أو يساره لِيَجِدَ فُرْجَةً؟ هذا عمل طَيِّبٌ، ما دام يرى فيه خللاً؛ يَضُمُّ بَعْضَهُمْ، يُقَارِبُ بَعْضَهُمْ إلى بعضٍ وَيَدْخُلُ، نعم.

[٩] هذا سائل آخر يقول: هل يدخل تحريم الحناء للرجال في استخدامِه في اللِّحْيَةِ والشَّعْرِ؟

لا، هذا مأمورٌ به، "غَيِّرُوا هذا الشَّيْبَ وَجَنَّبُوهُ السَّوَادَ"؛ النبيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول، وَمَعَ الحِنَاءِ إذا وُضِعَ الكَتَمُ كان أجملَ؛ لأنَّ الحناءَ أحمرٌ، فإذا وُضِعَ الكَتَمُ جاء إلى البُنِّي الغامِقِ أو العُودِيِّ، فَيُرَى مِنْ بَعِيدٍ كأنَّه أسودٌ، وإذا جُنَّتْ وإذا به ليس السَّوَادَ الذي نَهَى عنه النبيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فهو مطلوبٌ، ونسألُ اللهَ التَّوْفِيقَ للجميعِ، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ بِإِحْسَانٍ (٣٦).

٣٦ _ مَا كَانَ مِنْ خَطَا فِي التَّفَرُّيعِ فَلَمَّا فِي الْإِنْسَانِ مِنْ قُصُورٍ وَتَقْصِيرٍ، وَالْإِنْسَانُ يَجْتَهِدُ وَيَتَحَرَّى الصَّوَابَ، فَجَزَى اللهُ مَنْ فَرَّغَهَا خَيْرًا، وَجَعَلَ هَذَا فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِهِ، وَكَتَبَ لَهُ الْأَجْرَ وَالْثَوَابَ، وَثَبَّتَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ حَتَّى يَلْقَاهُ، اللَّهُمَّ آمِينَ.

مجموعة زكريا العلمية
مجالس الشباب سلفيت

اللقاء المفتوح

مع طلاب العلم في جازان

لعضيلة الشيخ الدكتور
محمد بن هادي الهدفلي
عضو هيئة التدريس في كلية التربية الإسلامية في جامعة القصيم



مجالس الشباب سلفيت

مجالس الشباب سلفيت

إقامة
اللقاء المفتوح

إقامة
اللقاء المفتوح